"الأبعاد الزمانية"

رؤية إبداعية في وجودية سارتر

د. روز هنري جرجس رزق
دكتوراه في الفلسفة الحديثة والمعاصرة
قسم الفلسفة – كلية الآداب
جامعة الإسكندرية

مقدمة

دائماً ينظم الإنسان حياته داخل شبكة نسيجها ثلاثة خيوط مترابطة: "الماضي والحاضر والمستقبل"، وبهم يكون مشغولاً، فهناك من يسعى إلى استشراف ما يمكن أن يحدث مستقبلاً من تطورات، ويحاول بلورة صورة ما لهذا المستقبل.

هناك أيضاً من يرى أن الحاضر تتوغل فيه المشكلات والأمراض (الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية) وهي دائماً تقلق المرء وتسبب أرقًا شديدًا له.

أما عن الماضي فهو يجسد الذكريات والمواقف التي مررنا بها، والإنجازات التي أنجزناها، وقد يحمل في طياته السعادة، وربما يحمل الحزن والألم.

سلسلة الزمان المترابط ، أو ما يمكن أن نطلق عليها حلقات الزمان، فكل منها يكمل الآخر، ولكن أيها أكثر تأثيراً ؟

لقد برزت مشكلة الزمان في كل الحضارات واختلفت صور لحظات الزمان الثلاث من فكر لآخر، فلكل فيلسوف تفسير يختلف عن غيره؛ لذلك تعددت الآراء في تفسير لحظات الزمان عبر تاريخ الفلسفة وعلى مر العصور، وبالتالي تعددت المذاهب في تفسيرها والتي كان لها الأثر في العمل في الميادين المختلفة، ففي ميدان العمل النظري ظهر العديد من التيارات الفكرية الجديدة كالمثالية الترانسندتيالية على يد "كانط" (١٧٢٤-١٨٠٤) الذي توصل إلى أن وجود الزمان متوقف على وجود النفس الإنسانية، حيث قال: "لا وجود للزمان إلا إذا كان في النفس الإنسانية تأثرًا به".

كذلك نجد الديمومة عند "برجسون"(١٨٥٩- ١٩٤١) وهي الزمان الحقيقي الذي لا يقبل الإعادة أو التكرار، فهي إبداع متجدد وإبتكار مستمر. وأيضاً الوجودية التي اعتقدت في الزمان الوجودي، والنظر إليه من خلال الذات، حيث نفت أي تصور للزمان المجرد بانتظام خارج النفس، ونظرت إليه من خلال مبدأ أساسي وجوهري، هو أن الوجود في الذات، ومن ثم لا يوجد الزمان إلا في النفس، وهذا ما سوف نتناوله في سياق هذا البحث.

يترتب على ما سبق سبب اختياري لهذا الموضوع، والهدف الرئيس من هذا البحث، هو محاولة "استخلاص مفهوم الزمان وأبعاده الثلاثة من وجودية "سارتر" أحد فلاسفة الزمان الوجودي.

ومن ثم تظهر أهمية هذا الموضوع من خلال إبراز هدفه الرئيس، وهو محاولة الوقوف على "مفهوم الزمان وأبعاده الزمانية" من خلال فكر "سارتر".

وبناءً على ذلك جاء البحث تحت عنوان:

" **الأبعاد الزمانية.. رؤية إبداعية في وجودية سارتر**"

أما عن تساؤلات البحث الرئيسة التي وضعتها الباحثة لتتمكن من طرح الموضوع بصورة جلية، فهي كما يلي:

١. ماالمقصودبالزمان الوجودي ؟
٢. ما طبيعة العلاقة بين الزمان وظاهرة القلق في وجودية "سارتر"؟
٣. ماالمقصودبالأبعادالزمانيةعند "سارتر"؟

لذا تحاول الباحثة الإجابة عن هذه التساؤلات في متن الدراسة، وذلك باتباع المنهج التحليلي وذلك من خلال الاعتماد على تحليل الأفكار، ومحاولة إبداء الرأي فيها، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأساسية.

ومن هذا المنطلق يشتمل البحث على مقدمة، ومدخل تمهيدي وثلاثة محاور أساسية وخاتمة، يعقبها قائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الباحثة، وفهرس تحليلي للبحث.

مدخل تمهيدي:

الزمان حقيقة حتمية تعيشها كل الكائنات الحية، ولذلك فهو جزء لا يتجزأ من حياة كل كائن حي على وجه الأرض، ومن ثم اعتبرت دراسة الزمان أمرًا هامًا وغاية كل إنسان؛ فكان لابد أن نتعرف على مفهوم الزمان والزمانية والزمان الوجودي كمفاهيم رئيسة في ذلك الموضوع:

مفهوم الزمان والزمانية

يعرف الزمان Time بأنه المدة الواقعة بين حادثتين أولاهما سابقة وثانيتهما لاحقة، ومنه زمان الحصاد، وزمان الشباب، وزمان الجاهلية.

والزمان عند بعض الفلاسفة إما ماضٍ أو مستقبل، وليس لديهم حاضر، بل الحاضر هو الآن الموهوم المشترك بين الماضي والمستقبل.

وإن كان الزمان مدة واقعة بين حادثتين. فالزماني Temporal هو المنسوب إلى الزمان، أو الموجود في الزمان، والزماني يدل على المتغير، أما الزمانية Temporality فهي صفة ما كان زمانيًا، وهي عند الوجوديين حركة تدفع المستقبل إلى الماضي حتى تصل به إلى الموت، أي إلى لحظة لا مستقبل بعدها[١].

الزمان الوجودي:

الوجودية بكل معانيها تتفق في القول بأن "الوجود يسبق الماهية"، فماهية الكائن هي ما يحققه فعلاً عن طريق وجوده، ولهذا يوجد أولاً، ثم تتحدد ماهيته ابتداءً من وجوده. وتتفق كذلك في أن الوجود هو في المقام الأول الوجود الإنساني في مقابل الوجود الموضوعي الذي هو وجود أدوات فحسب، وفي أن هذا الوجود متناه، وسر التناهي فيه هو دخول الزمان في تركيبه[٢].

الزمان الوجودي هو الزمان الذاتي أو الزمان الوجداني المصبوغ بالانفعال، كزمان الانتظار أو زمان الأمل. وهذا الزمان ليس كماً، وإنما هو كيف لا يقبل القياس، على خلاف الزمان الفاعل الذي يطلق على التأثير في الأشياء، حيث إنه موضوعي وكمي، وقابل للقياس[٣].

---

(١) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، مادة: الزمان، جـ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، صـ ٦٣٧-٦٣٨.

(٢) عبد الرحمن بدوي : دارسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٠، صـ ١٧

(٣) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، مادة: الزمان، جـ١: ص٦٣٨.

إن الزمان الوجودي هو الذي نظر إليه الفلاسفة الوجوديون على أنه لا وجود له إلا في النفس، إنه الماضي والحاضر والمستقبل داخل الذات، وإن كانوا قد اختلفوا في تفسير الحاضر (الآن)، وتناقضت آراؤهم بشأنه، فمنهم من نظر إليه على أنه حد متوهم بين الماضي والمستقبل، باعتبار أن الحاضر لحظة غير معقولة، ومرحلة انتقال بين الماضي والمستقبل، والبعض الآخر نظر إليه على أنه الحقيقة الموجودة، فالماضي قد انقضى، والمستقبل لم يأت. وبالرغم من تعدد وجهات النظر في تفسير الزمان يمكن أن يستخلص الفكرة الأساسية التي اتفق عليها جميع الفلاسفة الوجوديين في تصورهم للزمان بوجه عام، وهي النظر إليه من خلال الذات، حيث نفت الوجودية أي تصور للزمان المجرد خارج النفس، ونظرت إليه من خلال مبدأ أساسي وجوهري هو أن الوجود في الذات، ومن ثم لا يوجد الزمان إلا في النفس(١).

ومن بين الفلاسفة الوجوديين الذين ناقشوا فكرة الزمان بأبعاده الزمانية "جان بول سارتر (1905–1980) Jean – Paul Sartere، وهذا ما سوف نتناوله تفصيلاً:

١- العاطفة ما بين المستقبل والماضي:

القلق عند "سارتر" يمثل العاطفة، وهو "قلق إزاء الأنا أو الذات"، ويوضح لنا دلالة هذا القلق ومغزاه في مثالين يحللهما تحليلاً رائعاً يكشف لنا عن نوعين من القلق :

(أ) قلق الأنا إزاء المستقبل:

يوضح لنا "سارتر" هذا النوع من القلق في مثال بعنوان: "السائر في طريق ضيقة تطل على الهاوية" فيقول:

"إن ما يصيب السائر من جزع ومن دوار لا يرجع إلى خوفه من الوقوع في الهاوية، وإنما يرجع إلى خوفه من أن يلقي بنفسه في الهاوية. فقد أكون سائراً في هذا الطريق، وأرى الخطر ماثلاً أمامي في الهاوية السحيقة، إنه خطر ينبغي على تجنبه، ولكن ثمة احتمالات عدة قد تحوله من مجرد خطر إلى حقيقة واقعة: فقد تنهار الأرض الرخوة من تحت قدمي، أو تنزلق قدمي على حجر صغير واقع في لجة الهاوية. إنني عندئذ وإلى هذا الحد أخاف

– القلق Anxiety هو إحساس بالضيق والحرج، وقد يصاحبه بعض الألم، فهو استعداد فطري لا يقنع بما هو كائن ويتطلع إلى ما ورائه، فهو مبعث حياة وحركة، وعامل من عوامل التقدم والتطور.

انظر: مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، مادة القلق، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٣، صـ ١٤٩.

(١) http://fikr.neet/article, December 24, 2013, إشكالية الزمان.

من الهاوية، وأخاف من الخطر الذي يأتيني من الخارج، كأنني موضوع لا يملك في ذاته شيئاً من مستقبله. ولكن المسألة لا تقف عند هذا الحد، فأنا لست مجرد موضوع، وإنما أنا ذات تدفع عنها الخطر الذي يهددني؛ فقد احترس من الأحجار، وقد أبتعد عن حافة الطريق. فهناك إذن إمكانياتي أنا، وهي إمكانيات لا تأتيني من الخارج، ولا تتحدد بعوامل خارجية، وهي ليست إمكانيات، ولا يمكنها أن تكون كذلك إلا لأن هناك بجانبها إمكانيات أخرى. فلا معنى لكوني أستطيع الاحتراس لو لم أكن أستطيع عكس ذلك، فأنا أستطيع أيضًا ألا أحترس، وأستطيع أن أقذف بنفسي في قلب الهاوية. إنني أستطيع أن أفعل كل ذلك، لأنه إذا لم يكن ثمة ما يجبرني على إنقاذ حياتي، فليس ثمة ما يمنعني من الاندفاع إلى الهاوية، فحياتي إذن ليست متعلقة بالطريق الضيقة، ولسيت متوقفة على عوامل خارجية، وإنما هي متعلقة "بي أنا" وبما سأفعل في المستقبل. وهو مستقبل لم يتحدد بعد، "فأنا حر إزاء هذا المستقبل"، ولكنني أيضًا "قلق إزاء هذا المستقبل".

إنني أشعر بهذه الحرية وأشعر بتعدد إمكانياتي؛ فأشعر بأن حياتي وموتي كليهما متعلقان بي وحدي، ومتعلقان بحريتي وحدها. وهذا هو القلق"[١].

هنا يأتي تعبير "سارتر" الذي ينطوي على "مفارقة"[*] وهو أن الإنسان محكوم عليه بأن يكون حراً، فهناك عدم يتسلل إلى الفعل، بحيث لا تكون الذات التي سوف أكونها، أو تكون هذه الذات بغير أن يكونها. فالقلق هو "وعي بأنني وجودي المقبل على نمط "اللا – وجود" وهذا هو "القلق بإزاء المستقبل"[٢].

(ب) قلــق الأنـــا إزاء المـــاضـــي:

يتضح هذا النوع من القلق في المثال الثاني الذي طرحه "سارتر" وهو بعنوان: "**المقامر**".

وفي هذا المثال يكشف لنا "سارتر" عن "**قلق الأنا بإزاء الماضي**" فيقول:

---

(1) Sartre: Being and Nothingness, an Essay on Phenomenological Ontology, Trans by. Hazel. E. Barnes , Routledge, London , 1969, P. 30 – 32

(*) Paradox الكلمة في أصلها الأجنبي مأخوذة عن اليونانية، وتتألف من مقطعين: Para ويعني المخالف أو الضد، وdox ويعني الرأي، فيكون المعنى لهذه الكلمة ما يضاد الرأي الشائع. وعند "هايدجر" تعبر عن العلاقة الضرورية بين الآنية والعالم في صميم الوجود البشري، من حيث إن الموجود لا يمكن أن يوجد إلا بفضل العالم الذي يرتبط به باستمرار بروابط وثيقة ومع ذلك فالعلم يهدده دومًا بانتقاص وجودة، أي يحدده الموت. (انظر: صفاء عبد السلام: الوجود الحقيقي عند مارتن هايدجر، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٠م، صـ ١١٣).

(٢) جون ماكوري: الوجودية، ترجمة إمام عبد الفتاح، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٥٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٢، صـ ١٨٧ – ١٨٨.

"قد أكون مقامراً، وأقرر بمحض حريتي وبنية خالصة أن أمتنع منذ اليوم عن لعب الميسر. إنني أعتقد أني أضع بمقتضى قراري هذا سداً منيعاً بيني وبين اللعب، بحيث أستطيع أن ألجأ إليه وأحتمي وراءه كلما راودني الإغراء باللعب. إلا أنني أجد نفسي من جديد أمام مائدة اللعب، وربما اتجهت إلى هذا السد، أي إلى عزمي السابق، وعندئذ أرى على الفور أنه قد انهار، وإنني أذكر عزمي السابق، ولكني أذكره فحسب، أعني أنه لم يعد إلا مجرد ذكرى. لقد صممت من قبل على عدم اللعب، ولكن هذا التصميم والعزم لم يعد له أي فاعلية أو أثر: إنه مجرد حدث نفسي قد تجمد وانقضى، وأنا قد تجاوزته، وأصبحت في حاجة إلى عزم جديد، بل أصبحت في حاجة إلى أن أخلق بواعث هذا العزم الجديد. وهكذا أقف أمام مائدة اللعب، وأنا أملك حريتي المطلقة، فلا شيء يمنعني عن اللعب، كما أن لا شيء يجبرني على اللعب. إنني أعاني التجربة، وأشعر بأني وحيد أمامها، وأنه ينبغي على أن اختار دون أن أجد في الماضي وفي عزيمتي الماضية ما يعينني على هذا الاختيار الراهن. عندئذ أشعر بالقلق"[١].

وبالتالي، فإن هذا القلق الذي نشعر به حين لا نجد في الماضي أو في المستقبل ما يعيننا على السلوك، وحين لا نجد في الأشياء من حولنا ما يحدد أفعالنا، أو ما يحتم علينا أفعالاً معينة. فهذا القلق الذي نعانيه حين نشعر بانعدام الصلة بين الدوافع والفعل هو أمر نادر في حقيقة الوجود، ولكنه رغم ذلك وبعد كل شيء أمر ممكن في أي لحظة، ففي كل لحظة توجد باستمرار توجيهات متعددة متنوعة لتوجيه نشاطنا، وما يختاره الإنسان من هذه التوجيهات يتوقف على إرادته الحرة وحدها، فيشعر بالمسئولية البالغة، إنه يحقق بهذا الاختيار معنى العالم ومعناه هو، وفي الوقت نفسه هو مجبر على الاختيار.. إنه وحيد يفصله العدم ويعزله بصفة دائمة عن كل ما يمكن أن يعنيه، فهي إذن عزله دائمة متصلة، وتقتضي بالتالي اختياراً متجدداً، بحيث يصبح القلق أمرًا ممكناً في أي لحظة[٢].

إذا كانت الزمانية – وسبق أن عرفناها – صفة ما هو زماني، فهي حركة تدفع المستقبل إلى الماضي، أي أنها لحظة، وعلى هذا الأساس تظهر الأبعاد الزمانية الثلاثة" الماضي والحاضر والمستقبل" وهذا هو موضوع بحثنا "الأبعاد الزمانية في وجودية سارتر" والذي نناقشه من خلال ثلاثة محاور رئيسة كالتالي :

---

(1) Sartre: Being and Nothingness, P. 32– 33.

وأيضاً : حبيب الشاروني : جان بول سارتر، منشأة المعارف، الاسكندرية، دون تاريخ، صـ ١٤٢ – ١٤٣

(٢) حبيب الشاروني: أزمة الحرية بين برجسون وسارتر، دار المعارف، ١٩٦٣، صـ ١٢٤.

البعد الزماني الأول"المستقبل" Future:

١- المستقبل ... ما علىّ أن أكونه:

يقول "سارتر": "... من الضروري أن ندرك أن للمستقبل وجودًا يختلف عن مجرد كونه مدركًا .. ويجب أن لا نفهم أن المستقبل "الآن" الذي لم يأت بعد، وإلا لوقعنا في ما هو في – ذاته، حتى لو أدركنا الزمان على أنه معطى وساكن، إن المستقبل هو ما علىّ أن أكونه، من حيث إنه من الممكن أن لا أكونه"(١).

يوضح "سارتر" في هذا النص أن المستقبل ليس (الآن) الذي لم يوجد بعد، لأن ذلك يجعل منه وجودًا – في – ذاته، ويصبح الزمان وضعًا لحالات أو أشياء بعضها إلى جانب البعض. والمستقبل هو "ما علىّ أن أكونه"، ولكن باعتبار أنني قادر على ألا أكونه. فهو ليس (معطى)، وإلا أصبح وجودًا في – ذاته للحضور، ولكن ما يجعله الوجود لذاته هو أنه يدرك نفسه (أي الوجود لذاته) باعتبار أنه لا يزال دائماً عدم تحقق بالنسبة إلى نفسه: إنه كل ما هو عليه وراء الوجود(٢).

ومن جهة أخرى يعرف "سارتر" المستقبل بأنه: "الشيء الذي ينتظر لأجل – ذاته الذي هو أنا. وهذا الشيء هو ذاتي"(٣).

وهنا يبني "سارتر" مفهومًا آخر للمستقبل، فيرى أنه ما ينتظر الوجود في ذاته الذي أكونه – ومن "ينتظر" هو نفسي أنا؛ فأنا ألقي بنفسي صوب المستقبل، لكي أكون فيه مع ما ينقصني شيئاً واحداً، ولكي أكون ما أنا عليه(٤).

ويضرب "سارتر" مثلاً على ذلك فيقول: "عندما أقول إني سأكون سعيداً، فنحن نفهم من ذلك أن "أنا" الحاضر الذي يحرك الماضي وراءه سيكون سعيداً(٥).

وهكذا فإن المستقبل من وجهة نظر "سارتر" هو: "(أنا) بقدر ما أنتظر ذاتي كحضور في وجود وراء الوجود"(٦).

---

(1) Sartre: Being and Nothingeness, P. 124-125.

(٢) ريجيس جوليفيه: المذاهب الوجودية من كيركجور إلى جان بول سارتر، ترجمة فؤاد كامل، ط١، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٨، صـ ١٥٠.

(3) Sartre: Being and Nothingeness, P. 12.

(٤) ريجيس جوليفيه: المذاهب الوجودية، صـ ١٥٠.

(5) Sartre: Being and Nothingness, P. 127.

(6) Ibid: P. 127.

٢- المستقبل مشروع ما هو ذاته:

يقول "سارتر":

"المستقبل هو النقطة المثالية حيث إنه البعد اللامتناهي للوقائعية (الماضي)، ولأجل – ذاته (الحاضر)، ولإمكانية (المستقبل) الخاصة، فهي وجود – في – ذاته لما هو من – أجل – ذاته. فالمشروع (ما هو – لأجل – ذاته) يتجه إلى المستقبل، حيث إنه مشروع في ذاته، وبهذا المعنى يكون ما هو لأجل – ذاته هو المستقبل الذي يمكن أن يكون الأساس الوحيد أمام ذاته. وهذا هي طبيعة "ما هو لأجل – ذاته"[١].

إذن المستقبل: هو أساساً "مشروع" يتجه نحو الوجود في ذاته. وهذا المشروع ضروري وغير قابل للتحقيق في آن واحد، فإن مستقبل الوجود – لذاته هو دائماً مستقبل ماضٍ، مستقبل من المحال اللحاق به، مستقبل ينزلق إلى الماضي في الوقت نفسه الذي يتخذ فيه طابع المستقبل أو طابع الإمكان[٢].

من هنا نفهم مفهوم المستقبل عند "سارتر"، حيث إنه يعتبر مصير الإنسان يقوم على مستقبله، وليس على ماضيه، لذلك حقيقة وجود الجنس البشري تتزمن على أساس الأحداث المتوالية المستمرة فقط، ووفق توقع الإنسان نفسه وتخطيطه لها نحو ما يمكن أن يحدث منها.

بتعبير آخر، إن الحقيقة مرتبطة بالزمان، ويجب أن يعاد التفكير فيها بصورة كاملة على أساس زمني، ولكن بعيدًا عن الماضي، كما وضح برجسون[*]، أن بعد ذلك الزمان الذي يمنح قوته للمستقبل هو بعيد عن تطوير المستقبل؛ وهذا هو النقيض الذي يحدث، حيث إن المستقبل يمنح قوته للماضي، لأنه يمنحه مفهومه في ترتيب جوهره[٣].

---

(1) Ibid: P. 128.

(٢) ريجيس جوليفيه: المذاهب الوجودية، صـ ١٥٠.

(*) برجسون Henry Bergson (1941 – 1859) يذهب إلى أن الزمان ليس إلا زمانًا مكانياً، كما هو الحال عند كانط. ويرى "برجسون" أن الإنسان لا يفكر في الزمان الحقيقي، بل يحيا فيه؛ لأن الحياة تطغى على العقل من كل جانب. فالزمان الحقيقي هو الديمومة، وهي مختلفة عن الزمان الرياضي، والزمان العملي، وهو مجرى متحرك، أو تيار مستمر يجري أمام المدرك الواقف على شاطئ الحاضر، ومنه قولهم مجرى الزمان، وسير الزمان. انظر: مراد وهبه: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٧، مادة: الزمان، صـ ٣٤٠.
وأيضًا: جميل صليبا: المعجم الفلسفي، مادة: الزمان، جـ١، صـ ٦٣٧.

(3) Bernard Henri Levy: Sartre, The Philosopher of the Twentieth Century, Trs. Ardrew Brown, Oxford, 2003, P. 125.

إذن يتضح من كل ما تقدم عن المستقبل عند "سارتر" أن الإنسان يوجد أولاً غير محدد بصفة، ثم يُلقي بنفسه في المستقبل، ويشعر بذلك من خلال ما يقوم به من أفعال. ولهذا فإن الإنسان هو أولاً مشروع وتصميم يحيا حياة ذاتية، ولا شيء يوجد قبل هذا المشروع، بل إن الإنسان هو الذي يصمم مستقبله، ثم يحقق من هذا التصميم ما يستطيع[١].

تعقيب:

من كل ما تقدم عن تناول اللحظة الزمانية الخاصة بالمستقبل عند "سارتر" نجد ما يلي:

١- إن المستقبل عند "سارتر" هو أساساً "مشروع" يتجه نحو الوجود – في – ذاته، كما إنه ضروري؛ فالمستقبل ليس (الآن) الذي لم يوجد بعد، وهو ما ينتظر الوجود – في – ذاته، وبالتالي يصبح الزمان وضعاً لأشياء بعضها جانب البعض، فالمستقبل هو (أنا) بقدر ما انتظر ذاتي كحضور في وجود وراء الوجود.

٢- عن طريق الموجود الإنساني يأتي المستقبل، فالمستقبل يُفهم على أنه وجود.

٣- إن الإنسان يوجد أولاً ثم يُلقي بنفسه في المستقبل، فهو الذي يصمم مستقبله.

البعد الزماني الثاني "الماضي" Past:

١- الماضي وما عليّ ألا أكونه:

يُعرف "سارتر" الماضي فيقول:

"الماضي ليس لا شيء، وليس هو الحاضر، ولكن مصدره ينتمي إلى نوع من الحاضر ونوع من المستقبل .. ويتميز الماضي بأنه ماضي شيء ما، أو شخص ما، أو ما له ماضٍ. فهذه الوسيلة، وهذا المجتمع، وهذا الإنسان، الجميع لهم ماضٍ"[٢].

إن تحليل "سارتر" الأساسي للبعد الزماني الثاني (الماضي) يتمثل في إدراك أنه ليس هناك مثيل للماضي الكلي أو الموضوعي، فالماضي مستقل تماماً عن أي وعي يكون حاضراً كالماضي. ويرى "سارتر" أن هناك ماضٍ فقط؛ لأن هناك موجودات تتمثل في عدم استطاعتها أن تكون ما عليه. في المقام الأول بين "سارتر" أنا أكون ماضيَ، وأنا أكون أيضًا في وضع من عدم القدرة على أن أكونه، أو أن أتعايش معه، وكذلك في وضع من عدم القدرة على تغييره، ويوضح أنه يمكننا إعادة تفسير معنى الماضي، ولكن فقط على

---

(١) عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، ، صـ٢٦٢.

(2) Sartre: Being and Nothingness, P. 110-112.

أساس حقيقة واقعية معطاة، وأيضًا في وضع من عدم القدرة على أن أكون من دون ماضٍ، وأيضًا لا يمكن أن أكون أنا دون أن أكون ما كنته[١].

وبذلك يوضح "سارتر" أن لا وجود لماضٍ إلا بالنسبة إلى الوجود – لذاته، و(أنا) بمعنى ما عبارة عن (ماضٍ)، وإلا لم يعد للماضي وجود بوجه من الوجوه سواء بالنسبة إليّ أو بالنسبة إلى أي شخص آخر .. ونظرًا لأن (أنا) عبارة عن ماضٍ، فإنه يدخل الماضي في العالم، وأستطيع أن أتمثله ابتداءً من اصطلاح "هايدجر" الوجود – في – العالم.

الماضي إذن هو ما عليّ أن أكونه، ولكن على خلاف الممكن الذي يكون ضده ممكنًا أيضًا – على أن أكون الماضي الذي هو أنا دون أية إمكانية ألا أكونه.

كما يؤكد "سارتر" على أني لم أكن ماضيًا، فهو لا ينشأ عن الصيرورة، وإنما عن أن عليّ أن أكون ماضيًا لكي لا أكونه، وأن عليّ ألا أكون لكي أكونه، فمن حيث إني (ماضٍ) "فإنني أستطيع ألا أكونه"[٢].

ويوضح "سارتر" أنه بما أن المستقبل هو ما يختاره الوعي بمحض حريته، فالماضي إذن ترجع قيمته ومعناه إلى حرية الوعي. ودراسة "سارتر" للماضي تكشف عن أنه، كغيره من المواقف، يأتي إلى العالم عن طريق الوعي، وعن أن الوعي من جهة أخرى لا يمكن أن يدرك نفسه دون ماضٍ .. فما هو كائن ما قد كان، أي أصبح ماضيًا. فالماضي هو موقف لابد منه لاختيار المستقبل باعتبار "أنه ما ينبغي تغييره"، وباعتبار أنه لا يصبح ماضياً إلا بمقتضى شروع الوعي. ولذلك فإن قيمة الماضي ودلالته تتوقف على المستقبل، وما يشرع نحوه الوعي من غايات. فالماضي لا يقرر المستقبل، وإنما تُقرر قيمته بناءً على اختيارات الوعي، وعلى غايته. وهنا يربط "سارتر" بين الماضي والحرية؛ فبما أن الغاية ترجع إلى اختيار الوعي وإلى حريته، فالماضي إذن هو موقف يرجع إلى اختيار الوعي وحريته.

ومن هنا كان الماضي باعتباره موقفاً لا يحد من الحرية، وإنما هو شرط لازم لها. فمجال الحرية يظل متسعاً بقدر ما للوعي من مشاريع، وبقدر ما يختار من غايات. والوعي يستطيع أن يختار دلالة ماضيه، فهو يقبل ماضيه أو يرفضه. وهكذا يتصرف في ماضيه بمحض حريته، فيحوله إلى دوافع مختلفة بحسب اختياره للمستقبل[٣].

---

(1) Christopher Macann: Four Phenomenological Philosophers, Husserp, Heidegger, Sartre, Merileau Ponty, London and New York, 1993, P. 134.

(٢) رجيس جوليفيي: المذاهب الوجودية ...، صـ ١٤٩.

(٣) حبيب الشاروني: بين برجسون وسارتر .. صـ ١٥٠.

تعقيب:

يترتب على ما سبق ما يلي:

١- يرى "سارتر" أن كلمة (كان) تقوم بدور الوسيط بين الماضي والحاضر، وهي ليست حاضراً خالصاً، ولا ماضياً خالصاً[١].

٢- الماضي عند "سارتر" يدخل في العالم، وقد حدده "سارتر" ابتداءً من "الوجود – في – العالم"[*].

٣- قيمة الماضي عند "سارتر" تتوقف على المستقبل، حيث يحوله إلى دوافع مختلفة حسب اختياره للمستقبل.

البعد الزماني الثالث: "الحاضر" Present:

١- الحاضر.. من – أجل – ذاته:

يقول "سارتر":

"بخلاف الماضي الذي هو في – ذاته، فإن الحاضر هو لأجل – ذاته[**] .. فالحاضر هو ما هو على العكس من المستقبل الذي ليس بعد، ومن الماضي الذي انتهى .. فلا يوجد غير لحظة لا متناهية"[٢].

---

(١) جان بول سارتر: الوجود والعدم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٦٦، صـ ٢١٢.

(*) "الوجود – في العالم" عند "هايدجر" (١٨٨٩-١٩٧٦) معناه أن "معرفة العالم" تمثل وحدها ظاهرة "الوجود – في"، ولذا فإن "الوجود – في – العالم" يجب أن يعرف نفسه في ضوء معرفة العالم بوصفه حالاً وجودياً "للوجود – في"، كما أن معرفة العالم تعبر عن نمط أساسي للوجود – في – العالم. وبذلك يتضح أن تحليل ظاهرة الوجود – في – العالم هو أول تحليل وجودي فينومينولوجي وضعه "هايدجر"، وهو أول سلسلة التركيبات الوجودية التي قام بتحليلها. ويعتبر الوجود – في – العالم من أهم بناءات الآنية، كما أنها ظاهرة مركبة من "العالم، الموجود الذي هو في العالم، والحضور في العالم، أو الوجود الذي يشتمل على العناصر البنائية للآنية بمعنى الوجودات. كذلك هو لحظة أساسية في تركيب وجود الآنية، حين توجه انتباهها صب الوجود ما دامت الآنية موجودة، كما أن مشروع العالم يعبر عن وجود الآنية الوقائعية.
(انظر: صفاء عبد السلام: الوجود الحقيقي عند مارتن هايدجر، صـ ١١٧-١٤٩).

(**)وجود – لأجل – ذاته Being – for – itself عند "سارتر" هو الأساس في كل سلب، وهو أيضاً الوعي أو الشعور، هو حضور – في – العالم بوصف أن فيه جانباً من الإمكان. وهذا الإمكان يجعل وجوده هناك في العالم (الآنية) وجوداً مجانياً. وهذا النوع من الوجود يسميه "سارتر" بالوجود الإنساني، وهو الذي يهب للأشياء قيمتها، وقبل أن يأتي الشعور إلى العالم كان هذا العالم فوضى مطلقة لا معنى لها. وهذا النوع من الوجود هو نقصان في الوجود، هذا النقصان لا وجود له في عالم الأشياء؛ ولهذا كان الوجود الإنساني محاولة دائبة ومجهودًا متصلاً لكي يصل، يكون ما يريد، أي أن يصبح وجوداً – في – ذاته Bing – in – itself، أو وجوداً كوجود الأشياء مع الشعور، والوجود – في – ذاته يتألف من مجموعة الوقائع، أو الوجود المباشر. وليس فيه إحالة إلى جوهر ثابت، بل هو سلسلة من الظواهر. إنه الوجود المليء، ولهذا هو معتم بالنسبة إلى ذاته؛ لأنه مليء بنفسه، ليس له داخل في مقابل خارج يكون بمثابة شعور أو حكم.
(انظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، مادة: سارتر، جـ١، صـ ٥٦٨، وأيضاً: فؤاد كامل: فلاسفة وجوديون، وجوديون، سلسلة مذاهب وشخصيات، عدد ٤٠، مطابع الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٥: صـ ٤٨).

(2) Startre: Being and Nothingness, P. 120.

هنا ظهر الحاضر عند "سارتر" في مقابل الماضي، فبخلاف الماضي الذي هو (في – ذاته) جاء الحاضر عند "سارتر" (لأجل – ذاته).

ولكن ألا يدل ذلك على أنني يمكن أن أكون حاضري؟

ويجيب "سارتر" عن ذلك السؤال بتحديد المعنى الأساسي للحاضر. فيقول:

"ما المعنى الأساسي للحاضر؟ من الواضح أن ما يوجد في الحاضر يتميز بالحضور.. فالحاضر مقابل لما هو "غائب" و"ماضٍ". إذن معنى الحاضر هو الحضور لـ، ... إن حاضري هو أن أكون حاضراً، أي يكون حاضري للوجود – في – ذاته(*)، ولكن الأمر ليس كذلك؛ لأن "الحضور" معناه الوجود خارج الذات، بالقرب من، وما يمكن أن يكون "حاضراً" يجب أن يكون بحيث يدخل وجوده في علاقة مع موجودات أخرى. فالوجود الذي هو حاضر لا يمكن أن يكون في سكون (في – ذاته)، وما (في – ذاته) لا يمكن أن يكون حاضراً، ولا يمكن أن يكون ماضياً، إنه يكون فقط، فالحاضر يمكن أن يكون فقط حضورًا "لأجل – ذاته" للوجود – في – ذاته"(١).

إذن الحاضر عند "سارتر" وجود لذاته، وهذا الوجود لذاته هو حضور أمام الوجود؛ لأن الحضور أمام الوجود، والوجود لذاته يظهران ويختفيان معاً. فحضور الوجود لذاته هو إذن ما به يوجد كل وجود – في – ذاته، أي الموجودات الحاضرة بالاشتراك، وليس الحضور شيئاً سوى هذا "الحضور بالاشتراك" للموجودات في – ذاتها، من حيث إن "الوجود لذاته" حاضر، بيد أن حضور الوجود لذاته بالنسبة إلى الوجود معناه أن الوجود لذاته شاهد لذاته باعتباره "ليس" هو هذا الوجود الذي هو حاضر أمامه. وهذا ما نريد أن نقوله حين نؤكد أن الحاضر "ليس موجوداً"(٢).

(*) الوجود – في – ذاته Being – in – itself: هذ النوع يسميه "سارتر" بوجود الأشياء، وهذا الوجود في هوية دائماً مع نفسه، أي أنه هو نفسه دائماً، وذلك لأنه يخلو من الشعور الذي يستطيع به الوجود الإنساني أن يصبح شيئاً آخر غير نفسه. وهذا الوجود عند "سارتر" وجود لا معنى له، ولا سبب ولا علة، ولا ضرورة، ولا خالق يفسر وجوده. عند سارتر هو الذي ليس في داخله أية ثغرة يمكن أن ينفذ منها العدم.

انظر: فؤاد كامل: فلاسفة وجوديون، صـ ٤٨.

وكلمة (في – ذاته) عند "سارتر" تعني معادلاً أو مطلوبًا لذاته، أي أنه لا يوجد لأجل ذاته مثل الكائن الواعي، بل هو مجرد قائم هناك، لا شك فيه، جامد، متكتل، كثيف، لا يعتريه أي فراغ، ولا يحتمل أي مسافة بينه وبين ذاته، فهو ملاء مطلق خال من الوعي. وقد يشير إليه أحياناً بإغفال كلمة الوجود فيقول: "ال – في – ذاته" وأحياناً بإيراد كلمة "الشيء – في – ذاته". واستخدام كلمة شيء بمعنى الوجود، أو الموجود، شائع في الفرنسية وفي العربية. انظر: (حبيب الشاروني: بين برجسون وسارتر، صـ ١٠١).

(1) Sartre: Being and Nothingness: P. 121.

(٢) ريجيس جوليفيه: المذاهب الوجودية...، صـ ١٥٠.

إذن الوجود "في – ذاته" هو حضور "لأجل – ذاته"، ولكن ما هو "لأجل – ذاته" لا يمكن أن يكون متطابقًا مع ذاته[١].

وبذلك تقوم فلسفة "سارتر" على اعتبار أن الوجود الإنساني هو في في جوهره انفصال وملاشاة*؛ فالانفصال والملاشاة هي التركيب الأنطولوجي للوعي. فإذا نظرنا – في فلسفة سارتر – إلى هذا التركيب الأنطولوجي للوعي، بدا لنا الوجود الإنساني في صورة حركة دائبة قوامها الانفصال عن الماضي، والاتجاه نحو المستقبل، وهذه الحركة عينها تعني أن الوجود الإنساني ليس وجوداً موضوعياً متطابقاً مع ذاته، كما يمكن تحديد ماهيته[٢].

٢- الحاضر ليس لحظة:

يقرر "سارتر": "أنه من المستحيل أن يكون الحاضر على شكل لحظة (الآن)؛ لأن (الآن) سيكون اللحظة التي يكون الحاضر فيها موجوداً. لكن الحاضر غير موجود؛ فهو يصير بذاته على شكل هروب .. لكن الحاضر ليس فقط لا وجوداً يصير لأجل – ذاته حاضراً، من حيث هو لأجل – ذاته، فله وجود خارج عنه من أمامه وخلفه.

من الخلف ماضيه، ومن الأمام سيكون مستقبله. إنه هروب خارج الوجود الحاضر بالاشتراك، والوجود الذي سيكون. فالحاضر ليس ماضياً، وليس مستقبلاً"[٣].

هنا يوضح "سارتر" بأنه لا يكفي أن نفهم الحاضر بأنه عبارة عن حضور يعدم "الوجود – لذاته" بالنسبة إلى "الوجود – في – ذاته"، وإنما ينبغي أن نقول أيضاً إن الحاضر بوصفه "وجوداً – في ذاته" يحيط به وجوده من أمامه وخلفه: من خلفه لأنه كان ماضيه"، ومن أمامه لأنه "سيكون مستقبله"، أي أنه في الوقت نفسه ليس هو الآن ما هو عليه (لأنه الماضي)، وأنه الآن سيكون ما ليس هو عليه بعد (لأنه المستقبل)[٤].

---

(1) Christiopher Macann: Four Phenomeological Philosophers, P. 135.

(*) يقصد بالملاشاة النفي، والموت عند "سارتر" هو ملاشاة للملاشاة أي نفي للنفي، وبما أن نفي النفي هو الإيجاب فللموت إذن بهذا الاعتبار ناحية إيجابية. (حبيب الشاروني: بين برجسون وسارتر، صـ ١٥٢).

(٢) حبيب الشاروني: بين برجسون وسارتر، صـ ١٢٠-١٢١.

(3) Sartre: Being and Nothingness, P. 123.

(٤) ريجيس جوليفيه: المذاهب الوجودية...، صـ ١٥٠.

تعقيب:

نستخلص مما سبق النتائج التالية:

١- يرى "سارتر" أن الحاضر وجود لذاته، وهذا الوجود لذاته هو حضور أمام الوجود؛ وليس الحاضر شيئاً سوى هذا (الحضور بالاشتراك) للموجودات في ذاتها. كما أن الحاضر ليس ماضياً وليس مستقبلاً.

٢- يدعي "سارتر" تخليص الحاضر من الماضي، ومن المستقبل.

٣- يقرر "سارتر" استحالة أن يكون الحاضر على شكل لحظة، فاللحظة تقرر وجود الحاضر، والحاضر غير موجود.

٤- يرى "سارتر" أن (الآن) سيكون اللحظة التي يكون الحاضر فيها موجوداً، والحاضر عنده غير موجود؛ لأن الوجود الإنساني في جوهره انفصال وملاشاه.

الخاتمة:

في ضوء ما تقدم، ومن خلال تحليل ظاهرة الزمان وارتباطها بالعديد من الظواهر مثل ارتباطها بالقلق، وتحليل رأي "سارتر" عن الأبعاد الزمانية الثلاثة، نحاول في هذه الخاتمة أن نجيب عن أهم التساؤلات التي وردت في مقدمة هذا البحث من خلال بعض النتائج التي توصلت لها الباحثة حول موقف "سارتر" من ظاهرة الزمان :

١- ما المقصود بالزمان الوجودي؟

نظر الوجوديون إلى الزمان بأنه لا وجود له إلا في النفس، فهو الماضي والحاضر والمستقبل داخل الذات، فهو حركة تدفع الماضي إلى المستقبل حتى تصل به إلى الموت. وينظر "سارتر" إلى الزمانية على أنها أمر لا يقبل التعريف، فهي قبل كل شيء توالٍ.

٢- ما طبيعة العلاقة بين الزمان وظاهرة القلق في فلسفة "سارتر"؟

ارتبط القلق بالزمان عند "سارتر"، لأنه "قلق إزاء الأنا ..."، وقد حدده من خلال نوعين من القلق: أحدهما قلق بإزاء المستقبل، والآخر قلق إزاء الماضي.

٣- ما المقصود بالأبعاد الزمانية عند "سارتر"؟

قسم "سارتر" الزمان إلى ثلاثة أبعاد زمانية هي كالتالي:

أ- **المستقبل:** عرَّف المستقبل بأنه ما ينظر إلى الوجود – في – ذاته، فالمستقبل هو المشروع الذي يتجه نحو الوجود – في – ذاته.

ب- **الماضي:** الماضي عند "سارتر" لا وجود له إلا إلى الوجود – لذاته .. وهو يدخل في العالم، وهذا هو اصطلاح "هايدجري" (الوجود – في – العالم). وترجع قيمة الماضي عند "سارتر" ومعناه إلى حرية الوعي.

ج- **الحاضر:** قرر أن الحاضر هو حضور فقط، فهو وجود – لذاته، ورفض أن يكون الحاضر على شكل لحظة، فاللحظة تقرر وجود الحاضر، والحاضر غير موجود.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر الأجنبية :

1- Sartre: Being and Nothingness, an Essay on Phenomenological Ontology, Trans by. Hazel. E. Barnes , Routledge, London , 1969, P. 30 – 32

ثانياً :المراجع الأجنبية :

1- Christopher Macann : Four Phenomenological Philosophers, Husserl, Heidegger, Sartre, Merleau Ponty, London and New York, 1993 P. 134

2- Bernard Henri levy : Sartre, The Philosopher of the Twentieth Century, Trs. Ardrew Brown, Oxford, 2003, P. 125

ثالثاً : المصادر العربية:

١- جان بول سارتر: الوجود والعدم، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٦٦.

رابعاً : المراجع العربية

١- جاون ماكوري: الوجودية، ترجمة إمام عبد الفتاح، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٥٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون، والآداب، الكويت، ١٩٨٢.

٢- حبيب الشاروني: جان بول سارتر، منشأة المعارف، الإسكندرية، د. ت.

٣- حبيب الشاروني: أزمة الحرية بين برجسون وسارتر، دار المعارف، ١٩٦٣.

٤- ريجيس جوليفيه: المذاهب الوجودية من كيركجور إلى جان بول سارتر، ترجمة فؤاد كامل، ط١، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٨.

٥- صفاء عبد السلام: الوجود الحقيقي عند مارتن هايدجر، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٠.

٦- عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٨٠.

٧- فؤاد كامل: فلاسفة وجوديون، سلسلة مذاهب وشخصيات، عدد ٤٠، مطابع الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٥.

رابعاً : المعاجم العربية

١- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، مادة: الزمان، جـ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢.

٢- عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، مادة: سارتر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، جـ ١، ١٩٨٤.

٣- مجمع اللغة العربية: المعجم الفلسفي، مادة القلق، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٣و

٤- مراد وهبه: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٧.